No 4A العدد4A
2026 آب Aug 2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

شعرية الذاكرة والألم في بناء خطاب المنفى دراسة في مجموعة "منفى الوطن" الشعرية للشاعر محمد العبودي

أ.م. د. مؤيد محيسن راضي
جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية
moaidmohasen@gmail.com

الملخص
باتت العلاقة بين الذاكرة والمنفى علاقة طردية تلازمية فيما يتناوله الكتّاب في كتاباتهم، إذ استدعت التاريخ بما يحمل من قيم وذكريات حيّة وأفادت منه في محاولةٍ لإصلاح القضايا الراهنة والمعاصرة، فاستحضار الماضي وتوظّيفه في الحاضر المُثقل بالصراعات، يُعدّ ثيمةً بارزةً في مدونات وكتابات من يعاني توترات فكرية. إذ تتحول الذاكرة إلى مستودع للمفاهيم القيمية والمبادئ الحيّة، يوظّفها الكتّاب كـ (عدسة) لقراءة الأزمات الراهنة وتناقضاتها، وإثبات هوية الذات المستشعرة في محاولة لمواجهة الضياع والتشتت.
كلمات مفتاحية: الشعرية، الذاكرة، الألم، الخطاب، المنفى.

The Poetics of Memory and Pain in Constructing the Discourse of Exile A Study of the Poetry Collection "Destroyer of the Homeland"By the Poet Muhammad Al-Aboudi

Moayad Mohasen Radhi

Abstract

A familiar interplay between memory and directness, a kind of digression, has emerged in the writings of authors. History, with its inherent values and vivid memories, has been defined by a timeframe that obscures attempts to resolve complex and average issues. The invocation of the past and its application to progress, burdened by conflicts, has left a prominent theme in these writings incomplete due to the emergence of intellectual tensions. Memory transforms into a repository of values and living principles, which writers employ as a lens to interpret the content and its contradictions, and to affirm a defined self-identity in an attempt to confront loss and fragmentation.

Keywords: Poetics, Memory, Pain, Discourse, Exile

المقدمة

تُعدُّ تجربة المنفى من التجارب الأكثر حضوراً في الشعر العربي المعاصر بصورة عامة، والشعر العراقي بصورة خاصة، لِما يتخللها من توترات وانفعالات نفسية ووجودية ذات أبعاد عميقة، إذ يتقاطع عنصر الذاكرة مع عنصر الألم، ليشكّلا هذه الثيمة أو التجربة، فالألم ينتج طاقة تعبيرية أداته الذاكرة التي تحاول استعادة الوطن الغائب ، وتأتي أهمية هذه الدراسة في الكشف عن آلية تشكيّل خطاب المنفى عن طريق شعرية الألم عبر استدعاء الذاكرة. إذ جاء تركيزنا على الكيفية التي تتشكل فيها هذه الشعرية _ شعرية الألم والذاكرة_ وعلى الآلية التي يُبنى فيها خطاب المنفى من خلالهما في بعض نصوص مجموعة "منفى وطن" الشعرية اذ نحاول في بحثنا هذا الكشف عن تمظهرات الألم في الخطاب الشعري، وبيان دور الذاكرة في قدرتها على استحضار ثيمة الوطن والهُوية، كذلك الكشف عن العلاقة بين الألم والذاكرة التي شكّلت تجربة المنفى، فضلاً عن الافصاح عن الأدوات التي ساهمت في بناء هذا الخطاب الشعري.
تنطلق دراستنا لهذه المجموعة من سؤالين هما: - هل الألم في المجموعة ذاتي أم جماعي/ وطني؟
- التفاعل بين الألم والذاكرة، هل أنتج خطاباً شعرياً ذا دلالة؟ وكيف استثمر الشاعر هذا التفاعل؟

أولاً: شعرية الألم وتمثلاته

إنّ ظاهرة الألم الملازمة للذات الشاعرة، التي أصبحت سمة دالة وطاغية على أغلب قصائد الشعراء العراقيين المعاصرين، هي " ظاهرة نفسية ترتبط بالجانب المحسوس غير المدرك لتصيب المرء بالألم والتوجع لفترات زمنية متفاوتة الشدة يحس فيها بمأساته، التي هي ليست حكراً على إنسان دون آخر لأن الشعور بها لدى البشرية جمعاء إلا أن الفرق يكم في من يجعلها طريقاً نحو التحدّي والخلاص، وتجاوز الصعاب، وذلك برفع الستار عن الجوانب السوداوية الخفية التي تصول، وتجول في بحورها المكدرة بالأسى والأحزان"[(i)]، وعليه، فإن الألم هو صورة حقيقية مرافقة للذات الشاعرة، مصوّرة لِما في داخلها، معبّرة عن واقع حقيقي، ونابعة من عمق هذه الذات، وبالتالي تكون مؤثرة وذات وقعٍ.
عند اطلاعنا وتمعننا في مجموعة (منفى وطن)، نجد أن الشاعر قد وظّف الألم عبرَ معانٍ عدة تمثلت في مفردات: (القلق، والحزن، والتيه، والفقد)، إذ انطلق الشاعر في التعبير عن الألم الفردي ليوصل فكرةً للمتلقي مفادها، أنّ هذا الألم ليس ذاتياً وإنما هو جزء من ألم جمعي، ألم أمة؛ ذلك أن لسان حال هذه الأمة هو ما يقوله أبناؤها من هؤلاء الشعراء، عبر استعمالهم للغة الألم التي تحمل دلالات الشكوى، والنداء، والاستفهام...إلخ.
يبدأ الشاعر بالتعبير عن هذا الألم عبر توظّيفه للعتبات النصية بدءاً من عنوان المجموعة ووصولاً إلى عنوانات قصائدها، مثل: منفاي البعيد، صوت الوجع، أبواب القبور، على غير ذنب...

من منفاي البعيد سأعود

حاملاً عقود العذاب المريرات

وشكواي العميقة واغتيالاتي

سأجمع أشيائي كُلّها... [(ii)]

منذ افتتاحية القصيدة يضع الشاعر القارئ أمام ركيزتين مركزيتين هما المنفى والعودة، فالشاعر هنا يؤسس لخطاب مبني على حركة دائرية، بدايتها الاغتراب ونهايتها الحلم بالرجوع، فالمنفى بحسب الشاعر ليس مكاناً جغرافياً فقط، وإنما هو تجربة ذات بعد وجودي، وهذه التجربة مُثقلة بـ(عقود العذاب)، فهو يوحي عبر هذه العبارة بحجم المعاناة ومدى تراكمها عبر الزمن.
ونجد أن الشاعر يعمل على تكثيف الألم عن طريق الحقل الدلالي المتلازم مع المعاناة من خلال معاني العذاب والشكوى والغربة والاغتيالات، إذ تؤدي هذه المعاني وظيفة بنائية تقوم على جعل الألم أساساً تتشكل عليه تجربة الشاعر الشعرية، لا مجرد حالة شعورية عابرة. كذلك تتجلى هذه الشعرية في صورة النص الشعري:

سأحمل الجدار الذي

حفرتُ عليه وعودي وأشواقي[(iii)]

إذ يتحول الجدار من الشيء المادي المحسوس إلى حاضنة للذاكرة والحنين، فتعمل الصورة الشعرية هنا على إظهار العلاقة المتلازمة بين الذات والمكان، فيصبح هذا الجدار شاهداً على الوعود المعلقة والأحلام المؤجلة.

فتعمل الذاكرة كأداة لمقاومة المنفى، إذ لا يكتفي الشاعر بتدوين تجربته مع الاغتراب فحسب، بل يعمد إلى الاستعانة بالذاكرة لمقاومة هذه التجربة. وهذا ما لمسناه في قوله:

"سأغادر الزنزانات

ومرافئي البائسات

وحدائق المتسكعين

وأزقة غريبات"[iv]

وظّف الشاعر في الأسطر السابقة من القصيدة ما يدور حوله من ألم عميق ليُظهر مكبوتات الوجع الذي خلفته المأساة؛ ذلك لأن بوح الشاعر هو " تعبير عن حالة لا واعية في عالم واعٍ في الذات الإنسانية، والشاعر بقدر ما يُعبّر عن أحاسيسه ومشاعره تجاه الآخرين، ويفصح عن مجموعة من الترسبات التي ملأت كيانه، يُسهم في إعادة التوازن لنفسه، بعد أن تزعزعت من جراء الآثار التي خلّفتها الأحداث والواقع"[v]. إذ يستحضر الشاعر هنا الأمكنة بما تعينه الذاكرة على استحضارها بوصفها لوحات حميمية ذات اتصال بالماضي، فهو لا يستعيد المكان بما هو، وإنما يعيد تشكيله شعرياً عن طريق الصور الجمالية التي تتجاوز الواقع.

ونجد محمد العكار يعمد على الاستعانة بأكثر من أسلوب بلاغي؛ كي تبلغ الذاكرة ذروتها في الحضور، من ذلك توظيفه لأسلوب النداء:

" سأعود يا وطني "[vi]

فأسلوب النداء هنا هو ليس مجرد خطاب موّجه للوطن فحسب، بل هو فعل استدعاء رمزي يعمل على جعل المسافة ضئيلة بين الذات والمنفى. إذ يُبيّن هذا الاستدعاء بأن الوطن هو حاضر في الذات وعياً ووجداناً على الرغم من الغياب الواقعي، وهو ما يتلاءم مع طبيعة هذا الخطاب – خطاب المنفى- الذي يستعين بالذاكرة كبديل عن الحضور الفعلي.

وفي قصيدة أخرى يجعل الشاعر الوطن مركزاً للحنين، كما في قصيدة " على اعتاب وطن"، إذ يقول:

"بقيةٌ من وجع،

يبدو أنه الفراق

قد حلَّ وَصدع"[vii]

فالنص يتأسس على حالة من الانتظار منذ عتبة العنوان؛ ذلك لأن العتبة بصورة عامة تمثل منطقة وسطية، بين الوصول وعدم الوصول، وبين ما هو خارجي وبين ما هو داخلي. إن قلق الشاعر يريد به أن يتجاوز الظرف الراهن؛ كي يصل مرحلة أخرى ذات قيمة أكثر، ومن حق الشاعر في الوقت المعاصر أن يستشعر الألم والحزن ويتطلع إلى آمال مريديه؛ لأنه أمام صورة لواقع معيش لا تُرضي ذاته الشاعرة، فهو يرفض هذه الصورة باحثاً عن بديل آخر لها[viii].

فالنص منذ بدايته وحتى نهايته يربط بين الوطن والألم، إذ يعتمد الشاعر فيه على ثيمة الفراق ويجعل منها مصدره الأساسي للمعاناة، عبر لغة بسيطة ومكثفة، بحيث اختزل الشاعر تجربته في ألفاظٍ معدودة ذات أبعاد وجدانية جزلة، مثل: (وجع ، فراق ، غربة ، أشواق...)

تعمل هذه المفردات على تشكيل معجمٍ دلالي يُعبّر عن المنفى بما فيه من مأساة ومعاناة. ونجد في القصيدة كذلك هيمنة للخطاب الحواري عبر اعتماد الحوار المباشر مع الوطن، من ذلك:

" يا موطني، هل لك أن تُجيبني؟

ثم تتوالى الأسئلة:

أن تنظرَ إليَّ؟
أن تأخذَ بيدي؟
أن تبوحَ إليَّ؟
أن تُرممَ كلّ هذا الصداع؟"[ix]

تعمل هذه الأسئلة على التعبير والكشف عن وظائف عدة، منها:

التعبير عن حجم القلق الداخلي، وإظهار صمت الوطن، وبيان عجز الذات عن الوصول إليه. فالقصيدة تصبح مناجاة وجودية، تبحث عن مخرج لحالة الضياع والتشظي.

فنماذج النصوص للقصيدتين السابقتين تكشفان عن العلاقة الجدلية بين الألم والذاكرة، هذه العلاقة ولّدتْ تفاعلاً بينهما كان له الأثر في بناء خطاب المنفى. فالألم يستحضر الذاكرة:

" ما إن قلبي إليه رجع،
أيها الساكن في الأحداق
أخبرني كيف السبيل للأشواق إن لم تُطع؟ "[x]

إنّ استحضار الوطن يعمل على تقليص المسافة بين ما هو حلم وبين ما هو واقع، إذ تعمل الذاكرة على تعمق الشعور بالفقد، ومن ثَمَّ فإن هذا الخطاب – خطاب المنفى- في المجموعة الشعرية ككل لا يُؤسس على الاغتراب وحده فحسب، وإنما على التفاعل الحاصل بين العنصرين الأساسيين: (ذاكرة الماضي، وألم الحاضر)، فتتولد عبر هذا التفاعل رؤية شعرية تعمل على جعل الوطن ثيمة للحنين، كذلك تعمل على جعل المنفى تجربة ذات أبعاد وجودية تتخطى فيها حدود المكان. ويوظّف محمد العكار الصوت في قصيدة (صوت وطني) بوصفه استعارة للوطن، من ذلك قوله:

" أسمعُ صوتَ السُفن
رُغم أنّها لا تمر على مُدني!" [xi]

فالمفارقة تكمن بين السماع والرؤية، ذلك أن السفن تأتي بمدينة الشاعر، ورغم ذلك فهو يسمع صوتها. إذ وظّف الشاعر الصوت هنا ليس بالمفهوم المعتاد والمتداول، أي ليس بالمعنى الحسيّ المباشر، بل وظّفه على أنه رمزٌ للوطن غير الحاضر أو البعيد أو لأملٍ يرجوه منه في المستقبل.

فالصوت في هذا القصيدة يمثل ثيمة لشيءٍ غائب، شيءٌ لا تدركه الذات ولا تراه، وهو الوطن، لكن هذه الذات تتحسس وجوده وحضوره من خلال رؤى متخيلة. فمن هنا تنطلق وتبدأ الشعرية، شعرية النص، عبر التوتر القائم بين الحضور والغياب، وهي ثيمة بارزة وجوهرية يتأسس عليها أدب المنفى.

فالذاكرة هنا تكشف إطاراً جديداً من التجربة – تجربة المنفى- في المجموعة الشعرية؛ ذلك لتلازمها مع الصوت لتشكيل خطاب المنفى، وهو منفى الانتظار والسمع، فالشاعر لا يكتفي بإحساسه لفقد المكان، وإنما يعيش حالة من فقد الإشارة التي تمسكه بذلك الوطن.

" لا أدري أسمعُ سراباً؟
وهل للسرابِ صوتٌ عليه يدلُّني؟" [xii]

يقترن (السراب) عادةً - في الثقافة العربية- بالوهم والخداع، لكن الشاعر هنا استثمر صورة السراب في النص بوصفه رمزاً للأمل والحلم المؤجل، إلا أنه منحه بُعداً جديداً حينما وضعه في صيغة السؤال: وهل يكون للسراب صوتٌ؟

إذ يكشف هذا التساؤل عن حالة من التذبذب والتردد بين الحقيقة والوهم، بين التصديق والتكذيب، فالذات لم تعد تستشعر وتمييز الحقيقي من المتخيل؛ نتيجةً لِما مرَّ بها من طول غياب، والاستفهام جاء في النص ليس الغرض منه انتظار جواب بقدر ما يُعبّر عن حالة القلق الداخلي العميق.

* شعرية الانتظار والانكسار:

" أمدُّ بصري بعيداً
نحو كلِّ الأفقِ
دون أن أرى ولو شبحاً يوهمني
أعودُ منكسراً" [xiii]

يتحول النص من حاسة السمع إلى حاسة البصر، إلا أن المحصلة هي واحدة: الغياب، إذ نجد أن الذات مازالت تبحث عبر الأفق عن شيءٍ ولو أثر أو علامة أو (شبح) يمنحها بعض المواساة، لكنها تعود منكسرة خائبة. إذ يبلغ الانكسار ذروته عبر الفعل (أعود..) الذي يحمل دلالة الاستمرار والتكرار، كأن خيبة الانكسار أصبحت فعل يومي يكرر نفسه في حياة المنفى.

* الألم النفسي وتمزق الذات:

" أدورُ حولي كما رحى
تطحن أجزائي دون أن تقتلني "[xiv]

يصوّر الشاعر في هذه القصيدة معاناة الذات بما تحمل من آلام نفسية عبر رسمه لصورة تجعل المتلقي يعيش هذه المعاناة، إذ شبّه ذاته بالحبوب التي تسحقها وتطحنها الرحى أثناء دورانها المستمر والمتكرر.
فالصورة تكشف عن مأساة وألآم داخلية مستمرة، ألآم لا تنتهي بصاحبها إلى الخلاص أو الموت، وإنما تجعل الذات معلقة بين حياة مريرة وخيبة انكسار، مؤديةً إلى حالة مستمرة من التمزق النفسي. وتكمن الشعرية في هذه الصورة عبر الجمع بين العناصر المتناقضة:
- الطحن بوصفه عملاً مستمراً تدميرياً.
- البقاء حياً على الرغم من هذا الفعل التدميري المتكرر.
يقول الشاعر في موضع آخر:

" وأعود مراراً لعل حلماً يمرُّ بيّ "[xv]

تأتي هنا في هذا المقطع بالذات، الوظيفة المركزية للذاكرة في القصيدة؛ كي تواجه الذات غربتها وواقعها، فهي لا تمتلك سوى الحلم، فيصبح امتداداً للذاكرة، وفرصة لاستعادة الوطن المفقود. إلا أن حلم الذات لا يكتمل، إذ تصاحبه المخاوف والهواجس:

" لكنما يقظة تؤرق أحلامي
كما ريح الخريف حين تخيف "[xvi]

وعليه، يدخل النص في دوامة مستمرة بين جدلية الحلم والواقع، وجدلية الذاكرة والحاضر، وبين جدلية الوطن والمنفى. ويختم الشاعر نصه الشعري بقوله: (كما ريح الخريف حين تخيف)، إذ تمثل ريح الخريف رمزاً للإنطفاء والذبول والفقد، فاستدعاء رمز الخريف في نهاية القصيدة، يمنحها بُعداً ذا ميّزة تشاؤمية تتلاءم مع طبيعة التجربة، كذلك يعزز هذا الرمز الشعور بضياع الأمل وتلاشي الحلم.
ونجد أن الشاعر قد نجح في توظيف الصور الرمزية والاستفهامية وما صاحبها من حركات دائرية للأفعال (أمد، وأعود، وأسمع، وأدور...)، حتى يبني تجربته الشعرية، التي جعلت الوطن حاضراً في الإدراك والوعي رغم غيابه الواقعي.

وبالتالي، يمكن القول: إنّ الشعراء العراقيين المعاصرين، فضلاً عن شاعرنا – محمد العكار- قد اتسموا بحرصهم على إقامة قدرٍ من التوازن بين إبداعهم والتزامهم في القصيدة، كذلك حرصهم على أن يجعلوا من آلامهم آلاماً سياسية، وأن يوظّفوها في الوقت ذاته إلى مأساة إنسانية؛ لتصبح أغنية لكل المطلوبين والمقهورين في شتى بقاع العالم والعراق بصورة خاصة، يرافق هذه الآلام شيء من الأمل للحاضر والمستقبل وكأنه ردّة فعلٍ على المأساة[xvii].

ثانياً: الذاكرة بوصفها أداة استعادة

تناولت بحوث كثيرة علاقة الإنسان بذكرياته، وقدّمت اقتراحات تفسيرية أكدت على أمرين اثنين هما: إنّ الذاكرة صفة اجتماعية، وأن الإنسان صنيعة ذكرياته؛ وهما أمران يتبيّن حضورهما على ما يُلاحظ من استدعاءٍ للذاكرة في أفعال الإنسان اليومية، وعبر تفاعلها مع حاضره، فالفعل البشري هو ليس تراكماً للخبرات والذكريات، وإنما هو فعل تكوّيني يقوم على انصهار الماضي بما فيه من حمولة رمزية ومادية مع ما استجد من تصوّرات إنسانية عن الحاضر، وفق دوائر الوعي الذاتي والجمعي[xviii].
إذ تعمل الذاكرة كفعل استعادة لزمن خلى ومضى، وكوسيلة لترميم الحاضر بما فيه من انكسارات، إذ يعمد الكاتب لهذا الفعل/ الوسيلة؛ لينشغل بها عن الاستشراف إلى المستقبل، أي أنه " يُعبّر عن طريق الثناء الذي يكيله للماضي عن حنينه إليه ويجسد أيضاً معرفته بالمسافة التي تفصله عن قيم الماضي ومعتقداته وحشمته"[xix].
إنّ تجربة المنفى في المجموعة الشعرية تقوم على المفارقة الأساسية التي تمثلت في الغياب المادي للوطن والحضور الوجداني له، إذ أصبحت ذاكرة المبدع وسيلته الوحيدة التي تحاول أن تعيد

تشكيل هذا الوطن من خلال إدراك الذات الشاعرة. فنجد أن الذاكرة في قصيدة (وطناً أبكي أنا)، قد تحوّلت من أداة استرجاع إلى أداة مقاومة؛ لأنها استدعت الماضي لتواجه عبره واقع الغربة والهزيمة والانكسار:

" حين أبكي فأنا أبكي وطناً "[xx]

البكاء هنا في تجربة الشاعر الذاتية لا يمكن حصره في ذاته فحسب، بل ينتقل بصورة مباشرة إلى الوطن، ويتحول الوعي الفردي إلى وعي جمعي؛ ذلك أن الذات لا تبكي نفسها بل تبكي وطناً أصبح دائم الحضور في الذاكرة وغائباً على أرض الواقع.

إذ إن الوطن لا يُستدعى عبر المكان، وإنما عبر الاستدعاء النفسي، تكوّنه وتصنعه الذاكرة. وهذا ما نجده في قول الشاعر:

" ما بزغ عليه فجرٌ
إلا وصبَّ الدمعُ دما "[xxi]

الفجرُ عادةً يرتبط بمفاهيم ودلالات البدايات والأمل، إلا أن الذات الشاعر تقلب هذه الدلالة؛ ذلك أن الفجر يستحضر مزيداً من الألم، إذ تتحول الذاكرة من أداة يستطيب عبرها الجرح إلى أداة تستحضره، لأن الفجر أو الزمن الجديد يعمل على إعادة إنتاج ما تم فقده قديماً.

" أنا أبكي قهراً عاش فينا زمناً
يموتُ ويحيا كما لو
أضحى علينا قدراً "[xxii]

لا تعمل الذاكرة هنا على استرجاع الحوادث فقط، بل تعمل أيضاً على استرجاع الحالة الشعورية التي جاءت مصاحبة لها، فهي امتداد للألم عبر الزمن الذي يجعل الماضي جزءاً من الحاضر. يكشف النص كذلك عن أن القهر لم يكن حادثة متلاشية، بل أصبح من مكونات الهوية الجماعية.

" أنا أبكي وجوهاً تدمن السفر
فلا ملامح منها تبقى إلا الأثرا "[xxiii]

يجعل الشاعر هنا من الوجوه رمزاً يُمثل الإنسان والوطن معاً، إذ لا يعمل الاغتراب على استلاب المكان فحسب، بل يعمل على طمس الملامح والهوية، ويأتي دور الذاكرة هنا في الحفاظ على تلك الوجوه من أن تُنسى؛ ذلك أن استمرار (الأثر) أصبح البديل عن الحضور الحقيقي للإنسان والوطن معاً. حيث يتحولان إلى ذكرى أكثر مما هما واقعاً، وهذا المظهر أعلى ما يصل إليه خطاب المنفى ، ويعمل الشاعر على مقاومة تلك الغربة عبر الذاكرة، إذ يقول:

" أيها الغريب ألا تحلّ عنّا "[xxiv]

إذ يأتي بهذا النداء في محاولة منه لاستعادة الفضاء الذي استولت عليه الغربة. فيقول بعد ذلك:

" فإنّي سئمتُ مراراً
أراكَ متسيّدا "[xxv]

يُعبّر النص عن صراع بين سلطتين: سلطة الغربة التي تفرض حضورها، وسلطة الذاكرة التي لا تعترف بسيادتها. فتعمل الذاكرة هنا عمل المقاومة؛ توقف الغربة وتمنعها من أن تصبح قدراً نهائياً.

" عبثاً تحاول ميل قلبي
إليكَ تودادا "[xxvi]

يؤكد هذا النص على أن الغياب الطويل لم يؤثر وأن القلب ظل وفيّا لوطنه، ذلك أن الذاكرة تبقى وفيّة للمكان الأول ومتمسكة به، فهي تحاول أن تحافظ على هذا الانتماء. ويختم الشاعر قوله:

" وَ تقدم الأعذار إذا ما صار
مقتاً بيننا "[xxvii]

في هذا النص، تبدأ الذات بمحاورة الوطن وتقدم الأعذار له عمّا بدا منها من غياب أجبرته الظروف، فالوطن رغم الظروف القاسية التي فرضت على الذات الشاعرة، يبقى المرجعية الوجدانية والأخلاقية الأولى والأخيرة.

نرى أن الشاعر قد اعتمد وسائل فنية عديدة أسهمت وساعدت في تشكيل خطاب الذاكرة، من هذه الوسائل:

- التكرار: كرر الشاعر عبارة (أنا أبكي)، إذ جعل من البكاء فعلاً دائما، وأن الذاكرة مرتبطة بالألم المستمر.

- النداء: من ذلك قوله (أيها الغريب)، إذ جعل الغريب يتحول إلى مخاطب حي، هذا الأسلوب يعمل على اضفاء الحيوية على الصراع القائم بين الذات والمنفى.

- الرمز: تعدّ الأسماء (الفجر، والوجوه، والسفر) رموزاً للمنفى والهوية والزمن، تعمل على تكوين وظيفة دلالية تعطي معانٍ جديدة غير معناها المباشر.

القصيدة _ قصيدة (وطناً أبكي أنا)- في عمومها تكشف لنا أن الذاكرة هي ليست مجرد إعادة للماضي، وإنما هي آلية لاسترجاع الوطن، كذلك هي طريقة تحافظ على قيمة الهوية. إذ تعمل الذاكرة مع المنفى بطريقة طردية، فكلما أصبح حضور المنفى متزايداً، أصبحت الذاكرة أكثر فاعلية في إعادة بناء وترميم الوطن من الداخل، داخل الذات صاحبة الوعي الشعوري. وبعدها تتشابك الذاكرة مع الألم ليكونا سوية بنية خطاب المنفى العميق للمجموعة الشعرية ككل. إذ يتحول البكاء الناتج من الألم إلى وسيلة تعمل على حفظ الوطن من النسيان، ويتحول الوطن إلى ذاكرة نشطة تعمل كأداة لمقاومة الغياب.

الخاتمة

في نهاية بحثنا، يمكن القول إنّ قصائد المجموعة الشعرية (منفى الوطن) ككل، وما تناولناه في بحثنا من عينات لقصائد من تلك المجموعة كجزء، قد ارتكزت في بنائها الشعري على التفاعل الناتج بين العناصر الأساسية الآتية: - الذاكرة التي تستدعي الوطن عن طريق الحلم والصوت.- الألم الذي تمثل في الانتظار والخيبة والانكسار.- المنفى الذي تمثل برحلة البحث المستمرة وبالفضاء الغائب. إنّ الألم تحوّل من التجربة الشعورية إلى بنية شعرية، وأن الذاكرة هي ليست استرجاعاً فحسب، بل هي إعادة تشكيل للهوية، والخطاب توّلد من تشابك أو امتزاج الألم مع الذاكرة، وأنّ إبراز الألم والذاكرة عملا على تشكيل بنية خطاب المنفى العميقة، إذ إن الشاعر حوّل تجربته الفردية إلى رؤية وتجربة إنسانية عامة، من خلال نجاحه في تجسيد تجربته عبر تشكيل قصائده فنياً. وفي المحصلة تكوّن خطاب شعري ذو جمالية شعرية أداتاه الألم والذاكرة، اللتان أتكأ عليهما الشاعر محمد العكار على امتداد مجموعته الشعرية.

الهوامش

(i) الحس المأساوي من خلال (صرخة في وجه الموت) لـ عبابسة حسان، حليمة بوذينة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٩، ص: ٥.
(ii) منفى الوطن، مجموعة شعرية، محمد العكار، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٢٥، ص٣٨.
(iii) منفى الوطن، محمد العكار، ص٣٨.
(iv) منفى الوطن، محمد العكار، ص٣٨.
(v) لغة الشعر النسوي المعاصر، نازك الملائكة، سعاد الصباح ونبيلة الخطيب نماذج، فاطمة حسين العفيف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١، ص:١٢٥.
(vi) منفى الوطن، محمد العكار، ص٣٨.
(vii) منفى الوطن، محمد العكار، ص٩٥.
(viii) ينظر: ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر، نجية موسى، جامعة تلمسان، الجزائر، ص:١٠٢.
(ix) منفى الوطن، محمد العكار، ص٩٥.
(x) منفى الوطن، محمد العكار، ص٩٦.
(xi) منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٢.
(xii) منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٢.
(xiii) منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٢.
(xiv) منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٢.
(xv) منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٣.

[xvi] منفى الوطن، محمد العكار، ص٢٣.
[xvii] ينظر: ظاهرة الحزن والموت في قصائد ديوان أنين الصواري، للشاعر البحريني عبد الله خليفة، جاسم غالي المالكي، مجلة الخليج العربي، مج:٤٧، ع:(١-٢)، ٢٠١٩، ص:٥١.
[xviii] ينظر: الذاكرة بين سلطة الواقع وسلطة الكتابة، د. عبد الدايم السلامي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة تونس، ع:٣، ٢٠١٥/٣/١، ص:١٣٨.
[xix] الحداثة، مالكم برايدبري وجيمس ماكفارلن: ترجمة: مؤيد حسن فوزي، ج٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠، ص:١٥٢.
[xx] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxi] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxii] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxiii] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxiv] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxv] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxvi] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٢.
[xxvii] منفى الوطن، محمد العكار، ص١٦٣.

قائمة المراجع

- الحداثة، مالكم برايدبري وجيمس ماكفارلن: ترجمة: مؤيد حسن فوزي، ج٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠.
- الحس المأساوي من خلال (صرخة في وجه الموت) لـ عبابسة حسان، حليمة بوذينة، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٩.
- الذاكرة بين سلطة الواقع وسلطة الكتابة، د. عبد الدايم السلامي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة تونس، ع:٣، ٢٠١٥/٣/١.
- ظاهرة الحزن وبواعثها في الشعر العربي المعاصر، نجية موسى، جامعة تلمسان، الجزائر.
- ظاهرة الحزن والموت في قصائد ديوان أنين الصواري، للشاعر البحريني عبد الله خليفة، جاسم غالي المالكي، مجلة الخليج العربي، مج:٤٧، ع:(١-٢)، ٢٠١٩.
- منفى الوطن، مجموعة شعرية، محمد العكار، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٢٥.
- لغة الشعر النسوي المعاصر، نازك الملائكة، سعاد الصباح ونبيلة الخطيب نماذج، فاطمة حسين العفيف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١١.